الفصل الأول

الآيات الواردة في الحسد

الحسد:

لغة: الحسد مصدر قولهم: حسد يَحْسِد وَيَحْسُدُ ـ بكسر السين وضمها ـ وأصله القشر وهو مأخوذ من الحسدل وهو القراد فالحسد يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمتص دمه.

قال الفيومي: حسدته على النعمة وحسدته النعمة حَسَدًا بفتح السين أكثر من سكونها، يتعدى إلى الثاني بنفسه وبالحرف إذا كرهتها عنده وتمنيت زوالها عنه وهو عند أهل التحقيق غير الغبطة؛ لأن الأُولى صفة المنافقين، والثانية صفة المؤمنين.

ومنه قوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق:٥].

والغبطة هي: أن يتمنى الرجل أن يرزقه الله مالاً ينفق منه في سبيل الله أو يتمنى أن يكون حافظًا لكتاب الله فيتلوه آناء الليل وأطراف النهار ولا يتمنى أن يرزأ صاحب المال في ماله أو تالي القرآن في حفظه، هذا هو الحسد المباح وهو ما يسمى بالغبطة.

قال ابن منظور: الحسد؛ أن تتمنى زوال نعمة المحسود وحَسَده يَحْسِدُه ويَحْسُدُه حسدًا وحَسَّدَه إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما.

وتحاسد القوم، ورجل حَاسِد من قوم حُسَّدٍ[1].

---

(١) «الصحاح»، و«لسان العرب»، و«مفردات القرآن»، و«المصباح المنير»، و«مقاييس اللغة» مادة حسد.

الحسد، اصطلاحًا:

قال الراغب: الحسد : تمني زوال نعمة من مستحق لها وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها [١] .

قال الماوردي: وحقيقة الحسد : شدة الأسى على الخيرات التي تكون للناس الأفاضل، وهو غير المنافسة [٢] .اهـ.

قال ابن الجوزي: الحسد : هو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارقه الغبطة فإنها تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط[٣] .اهـ.

قال الجاحظ: الحسد : هو التألم بما يراه الإنسان لغيره وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له، وهو خُلُقٌ مكروه وقبيح بكل أحد[٤] .اهـ.

قال ابن الجوزي: وحَدَّ بعضهم الحسد فقال: هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار، ولا يجوز أن يكون الفاضل حسودًا؛ لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل.

وقال بعض الحكماء: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتك.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيًّا يقول: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد؛ حزن لازم ونفس دائم وعقل هائم وحسرة لا تفنى [٥] .اهـ.

وقال ابن الجوزي أيضًا: والحسد أخس الطبائع وأول معصية عُصي الله بها: في السماء حسد إبليس لآدم ، وفي الأرض حسد قابيل هابيل .ا هـ . [٦] .

---

(١) «المفردات» مادة «حسد».
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص: ٢٦١).
(٣) «زاد المسير» (١/ ١٠٤).
(٤) «تهذيب الأخلاق» (ص: ٣٤).
(٥) «زاد المسير» (١/ ١٠٤).
(٦) «زاد المسير» (٨/ ٣٤٦).

الآيـــات الـــواردة في ذم الحسد

[١] الحسد من صفات اليهود:

(١) قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾ [البقرة:١٠٩].

في هذه الآية الكريمة: «يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم».

فوصفهم بقوله: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني: «من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئًا ولكن الحسد حملهم على الجحود فَغَيَّرهم ووبخهم ولامهم أشد الملامة» (١).

قال الفخر الرازي في «تفسيره» (٢٣٦/٣):

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من كيد اليهود للمسلمين.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١٠٩/١):

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ معنى وَدَّ: أحب وتمنى، وأهل الكتاب: اليهود، قال الزجاج: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ موصول لـ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ لا بقوله: ﴿حَسَدًا﴾ لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه والمعنى: مودتهم لكفركم من عند أنفسهم لا أنه عندهم الحق.

فأما الحسد: فهو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارقه الغبطة: فإنها تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط. اهـ.

(١) تفسير ابن كثير عند هذه الآية [١٠٩].

ذكر حسد اليهود للمسلمين:

هذه الآية الآنف ذكرها دالة على ذلك.

(٢) الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) ﴾[آل عمران:٦٩].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين، وبغيهم إيَّاهم الإضلال، وأخبر أن وبال ذلك إنما يعود على أنفسهم وهم لا يشعرون أنهم ممكور بهم.اهـ.

قلت: وهكذا هو الحسد يعود على أهله بالوبال والمكر من الله لعدم رضائهم بما قدره الله.

فاحذر أخي المسلم أن تكون من أهله.

(٣) والآية الثالثة تؤيد ثبوت الحسد فيما بينهم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) ﴾.

[آل عمران: ١٩].

قال ابن كثير: أي: بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضهَم بغضِ البعضِ على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقًّا.

(٤) والآية الرابعة تثبت حسدهم لأهل الإسلام والمسلمين:

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾[النساء:٥٤].

قال ابن كثير: يعني ذلك: حسدهم النبي ﷺ على ما رزقه الله من النبوة

العظيمة ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل .اهـ.

(٥) والآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) ﴾ [البقرة:١٠٥].

[٢] الحسد من صفات المنافقين:

تقدم لك أن الحسد سَجِيَّة من سجايا اليهود فيما بينهم وللمسلمين، وكذلك في المنافقين فإنهم من الحاسدين للمؤمنين في كل زمان ومكان.

(١) قال تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) ﴾ [النساء:٨٨، ٨٩].

(٢) قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) ﴾ [آل عمران:١١٨].

(٣) قال تعالى: ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) ﴾.

[آل عمران:١٢٠].

قال الرازي: وهذا الفرح شماتة ، والفرح والشماتة متلازمان.

(٤) قال تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [التوبة: ٥٠].

[٣] أمر الله بالتعوذ من الحاسد إذا حسد:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾.

[سورة الفلق].

كـــلام أهـــل العلـــم :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

وسورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عمومًا وخصوصًا، ولهذا قيل فيها برب الفلق فإن فالق الإصباح بالنور يزيل بما في نوره من الخير ما في الظلمة من الشر، وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل ما في عقد النفاثات فإن فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات.

وكذلك الحسد هو: من ضيق الإنسان وشحه لا ينشرح صدره لإنعام الله عليه فرب الفلق يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه وهو سبحانه لا يفلق شيئًا إلا بخير[١] .اهـ.

وقال الشوكاني:

ذكر الله سبحانه في هذه السورة إرشاد رسوله ﷺ إلى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ومزيد ضره، وهو الغاسق والنفاثات والحاسد، فكان هؤلاءلما فيهم من مزيد الشر حقيقين بإفراد كل واحد منهم بالذكر[٢] .اهـ.

---

(١) « دقائق التفسير » (٦ / ٤٩٨).

(٢) « فتح القدير » (٥ / ٥٢٩).

حكمة تقييد الحاسد بقوله: ﴿ إذا حسد ﴾:

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد»: (١)

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله: ﴿ إذا حسد ﴾؛ لأن الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك ولا يعاجل أخاه إلا بما يحبه الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله.

وقيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟.

قال: ما أنساك إخوة يوسف.

لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر لها بل يعصيها طاعة لله وخوفًا وحياء منه وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده، فيرى ذلك مخالفة لله، وبغضًا لما يحبه الله، ومحبة لما يبغضه، فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود، وتمني زيادة الخير له.

بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسد، ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد المذموم هذا كله حسد تمني الزوال .اهـ.

واعلم أنه لما كان الحسد شرًّا، أمر الله نبيه بالاستعاذة منه، والحاسد أشر؛ لأنه حمل الشر ورضي به وانقاد له.

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد»، (١/٢/٢٢٨):

الشر الرابع: شر الحاسد إذا حسد وقد دَلَّ القرآن والسُّنَّة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود فنفس حسده شر يتصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه، فإن الله تعالى قال: ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴿٥﴾ ﴾ فحقق الشر منه عند صدور الحسد والقرآن ليس فيه لفظة مهملة.

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/٢/٢٣٦) و«الضوء المنير» (٦/٥٢٩).

ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسداً إلا إذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك، ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه ووجهت إليه سهام الحسد من قلبه فيتأذى المحسود بمجرد ذلك.

فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه، بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله وإلا ناله ولا بد؛ فقوله تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ بيان؛ لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل.اهـ.

قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»:

أمر الله نبيه ﷺ أن يتعوذ من جميع الشرور فقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيهًا على عظمه وكثرة ضرره،والحاسد عدو نعمة الله.

قال الحسن بن الفضل: ذكر الله تعالى الشر في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخس طبع[1] .اهـ

تفسير الطبري لهذه الآية: قال في «تفسيره» (٧٠٥/٢٤):

قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ اختلف أهل التأويل في الحاسد الذي أُمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شر حسده فقال بعضهم ذلك كل حاسد .

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن نور، عن معمر، عن قتادة: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قال: من شر عينه ونفسه، وعن عطاء الخرساني مثل ذلك قال معمر: وسمعت ابن طاوس يحدث عن أبيه قال: العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استفل أحدكم فليغتسل»[2] .

---

(١) «المحرر الوجيز» (١٦/٣٨٦).

(٢) في رواية معمر عن قتادة كلام. والأثر أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٤٠٨) وقول طاوس، صحيح.

وقال آخرون: بل أمر النبي ﷺ بهذه الآية أن يتسعيذ من شر اليهود الذين حسدوه.

ذكر من قال ذلك: حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾قال: يهود لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم(١).

وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال: أمر النبي ﷺ أن يستعيذ من شر كل حاسد إذا حسد فعابه أو سحره أو بقاه سواء، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله عز وجل لم يخصص من قوله: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ حاسداً دون حاسد بل عم أمره إياه بالاستعاذة من شر كل حاسد فذلك على عمومه .اهـ.

[٤] أول ذنب عُصِي الله به في السماء الحسد:

عن جندب بن أبي أمية قال: إن أول خطيئة كانت الحسد: حسد إبليس آدم أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية (٢).

وعن الحسن البصري، قال: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ : هو أول ذنب كان في السماء(٣).

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ [البقرة:٣٤].

قال قتادة: « قوله: ﴿ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ حسد عدو الله إبلس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة . . . » (٤).

---

(١) سنده صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد.

(٢) سنده صحيح أخرجه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (رقم ٦٩)، وأعاده رقم(٨٣)، وانظر ما سيأتي في «الباب التالي».

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٧٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧١١)، وفي سنده الحسن بن دينار، قال ابن عدي: أجمع من تكلم في الرجال على ضعفه، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٩٦).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٤) وسنده صحيح، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٢٣) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾[الأعراف:١١].

قال الطبري في «تفسيره» (٣٨٣/١٨): حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ قال: قال له: ﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾وقرأ حتى بلغ: ﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾قال: فنسي ما عهد إليه في ذلك.

قال: وهذا عهد الله إليه في ذلك قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذي حسده وأبى أن يسجد له مع من سجد له (إبليس) وعصى الله الذي كرمه وشرفه وأمر ملائكته فسجدوا له»[١].

وقد ذكر الله خبر إبليس وحسده لآدم في أكثر من سورة في القرآن الكريم من ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ [البقرة:٣٤-٣٨].

وذكر ذلك سبحانه في سورة الحجر [آية:٢٨-٤٢]، وسورة ص [آية:٧٢-٨٥].

---

(١) صحيح إلى ابن زيد.

[٥] أول ذنب عصي الله به في الأرض الحسد :

قال ابن عيينة: « الحسد أول ذنب عصي الله عز وجل به في السماء ـ يعني : حسد إبليس آدم ـ، وهو أول ذنبٍ عصي الله عز وجل به في الأرض وهو حسد ابن آدم آخاه فقتله » (١) .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾ [المائدة:٢٧-٣٠].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات من «تفسيره»:

يقول تعالى مبينًا عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه في قول الجمهور وهما قابيل وهابيل (٢) كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغيًا عليه وحسدًا له فيما وهبه الله من النعمة ، وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل.

قال قتادة: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ ذُكر لنا أنهما هابيل وقابيل، فأما هابيل فكان صاحب ماشية فعمد إلى خير ماشيته فتقرب بها فنزلت عليه النار فأكلته وكان القربان إذا تُقُبِّل منهم نزلت عليه نار فأكلته، وإذا رُدَّ عليهم أكلته الطير والسباع.

وأما قابيل فكان صاحب زرع فعمد إلى أردأ زرعه فتقرب به ، فلم تنزل عليه النار فحسد أخاه ، عند ذلك فقال : ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ ، قال: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ

---

(١) أخرجه الدينوري « المجالسة »(٦٥٩) عن ابن عيينة بهذا اللفظ .
والدينوري فيه كلام كما في « اللسان » وقد دافع عنهم بعضهم والظاهر أنه لايسلم من القدح فيه وانظر، « عيون الأخبار » (٢ / ١٤) وعنه تقدم في الباب السابق عن جندب بن أبي أمية.

(٢) لم تثبت هذه التسمية في الشرع ولعل الجمهور أخذوها مما روي من الإسرائيليات، والله أعلم.

من الْمُتَقِين ﴾[١] .

[٦] المؤمن لا يكون حاسداً:

قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾[الحشر:٨-٩].

قال الحسن البصري في قوله: ﴿ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ قال: هو الحسد[٢] .

قال ابن كثير: أي: لا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة .اهـ.

[٧] الحسد وإخوة يوسف :

قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾[يوسف:٤-١٥].

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٠/٢٠٧، ٢٠٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» وسنده صحيح إلى قتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/٩٤)، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (رقم:٧٦) وهو أثر صحيح الإسناد إلى الحسن.

قال ابن الجوزي في «المدهش» (ص:٨٠) شارحًا لهذا:

«لما تمكن الحسد من قلوب إخوة يوسف أري المظلوم ما للظالم في مرآه: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ فتلطفوا بخداع ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ وشوقوا يوسف إلى رياض ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ فلما أصحروا أظهروا الملقت له، ورموا بسهم العدوان مقتله وأغباش غيابة الجب ﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾.

وبعد ذلك وصل بهم الحسد إلى أن يلقوه في الجب وفرج الله عنه فأخذه بعض السيارة ثم كان مآله إلى بيت الملك بمصر ثم نشأ وترعرع، وفتنت به امرأة العزيز، وأنقذه الله من سوئها؛ لأنه كان من المخلَصين.

ثم سُجن ثم أُفرج عنه، وقال له الملك: ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف:٥٤].

وبعد ذلك جاءه إخوته ثم أرسل إلى أبيه وجاءوا بأهلهم أجمعين ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾ [يوسف:٩٩-١٠١].